

نواة الثورة: المنظمة الخاصة ومخاض الانتقال للعمل المسلح في الجزائر (1947-1950)

The Nucleus of the Revolution: The Special Organization and the Transition to Armed Struggle in Algeria (1947-1950)

أ.د. مصطفى سداوي،

مخبر التاريخ المحلي والذاكرة الجماعية والمقاربات الجديدة-جامعة البويرة

m.sadaoui@univ-bouira.dz

تاريخ النشر: 2026/01/01

تاريخ القبول: 2025/12/27

تاريخ الإرسال: 2025/08/12

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إعادة قراءة تجربة المنظمة الخاصة (1947-1950) باعتبارها الحلقة الحاسمة في انتقال الحركة الوطنية الجزائرية من النضال السياسي إلى الإعداد المنهجي للكفاح المسلح. وتتمحور إشكالياتها حول مدى نجاح المنظمة الخاصة في تحويل مشروع الثورة من تصور سياسي إلى مشروع عملي، مع إعادة النظر في التفسير التقليدي لأسباب اكتشافها وتفكيكها. وتعتمد الدراسة المنهج التاريخي التحليلي بالاستناد إلى الوثائق والأرشيفات والشهادات والمذكرات الشخصية والأدبيات المتخصصة. وتبين النتائج أن المنظمة الخاصة أرست البنية التنظيمية والعسكرية والبشرية التي مهدت لاندلاع ثورة أول نوفمبر 1954، وأن تفكيكها لم يكن نتيجة حادثة منفردة، بل حصيلة تفاعل عوامل تنظيمية وسياسية وأمنية معقدة. وتخلص الدراسة إلى أن تفكيك المنظمة، رغم آثاره المباشرة، أسهم بصورة غير مباشرة في تسريع انتقال التيار الثوري إلى مرحلة المبادرة وإطلاق الثورة المسلحة.

الكلمات المفتاحية: المنظمة الخاصة؛ الثورة الجزائرية؛ الحركة الوطنية؛ حرب التحرير؛ الكفاح المسلح.

Abstract

This study reassesses the experience of the Special Organization (1947–1950) as the decisive stage in the

transformation of the Algerian nationalist movement from political activism to systematic preparation for armed struggle. It investigates the extent to which the organization succeeded in translating the revolutionary project into practical action while re-examining the conventional explanation for its exposure and dismantling. Using a historical-analytical approach based on archival documents, memoirs, testimonies, and specialized literature, the study argues that the Special Organization established the organizational, military, and human foundations that enabled the outbreak of the Algerian Revolution in November 1954. It further contends that its dismantling resulted not from a single incident but from the interaction of organizational, political, and security factors. The study concludes that, despite its immediate setbacks, the dismantling of the organization ultimately accelerated the revolutionary process leading to armed insurrection.

Keywords: Special Organization; Algerian Revolution; National Movement; Armed Struggle; Decolonization.

Résumé :

Cette étude propose une relecture de l'expérience de l'Organisation spéciale (1947–1950), considérée comme l'étape décisive ayant permis le passage du mouvement national algérien de l'action politique à la préparation méthodique de la lutte armée. Elle s'interroge sur la capacité

de cette organisation à transformer le projet révolutionnaire en réalité opérationnelle tout en réexaminant les explications classiques relatives à sa découverte et à son démantèlement. S'appuyant sur une approche historique et analytique fondée sur les archives, les témoignages, les mémoires et les études spécialisées, l'étude montre que l'Organisation spéciale a posé les fondements organisationnels, militaires et humains de la Révolution du 1er Novembre 1954. Elle conclut que son démantèlement résulte de l'interaction de facteurs organisationnels, politiques et sécuritaires plutôt que d'un événement isolé, et qu'il a paradoxalement contribué à accélérer la dynamique révolutionnaire.

Mots-clés : Organisation spéciale ; Révolution algérienne ; Mouvement national ; Lutte armée ; Décolonisation.

مقدمة:

عرفت الجزائر خلال الفترة الممتدة من 1947 إلى 1954 سيرورة تاريخية فذة توجت بانتقال فكرة الثورة من مستوى المبدأ إلى مستوى التطبيق، وقد لعبت "المنظمة الخاصة" الدور الرئيس في صياغتها. وإذا كان لنا أن نحدد تاريخ لبداية هذه السيرورة، فهو بلا شك: يوما 15 و 16 فيفري 1947؛ حيث عقد "حزب الشعب الجزائري" المحل مؤتمرا سريا اتخذ فيه عدة قرارات، كان أخطرها على الإطلاق قرار إنشاء جهاز عسكري سري عرف بـ "المنظمة الخاصة" OS، مهمته التحضير للانتقال إلى الكفاح المسلح، لكن بعد ثلاث سنوات من هذا المؤتمر استطاع الأمن الاستعماري اكتشاف هذا الجهاز وتفكيكه، ليتم حله بعد ذلك من قبل الحزب نفسه.

- وهنا تفرض نفسها إشكالية مفادها: إلى أي مدى نجحت أو فشلت هذه المحاولة الفريدة من نوعها في تاريخ النضال الوطني في نقل الثورة من مستوى التصور الممكن والمتاح إلى مستوى الفعل القائم "هنا والآن"؟
- لحلحلة هذه الإشكالية، سنقوم بتفكيكها إلى أربع أسئلة هي:
- 1- لماذا إنشاء هذا الجهاز بالأساس؟ وفي هذا التوقيت بالتحديد؟
 - 2- ما هي الإنجازات التي حققها؟
 - 3- ما هي الأسباب الفعلية التي أدت إلى انكشاف أمره وتفكيكه من قبل الأمن الاستعماري؟
 - 4- هل يعني تفكيكه ثم حله أنه فشل في مهمته؟

أولاً: تأسيس المنظمة الخاصة: من فكرة الكفاح المسلح إلى الإعداد للثورة

على خلاف ما قد يتصوره البعض، لا تعني -بحال- السيرورة المشار إليها أعلاه أن عام 1947م مثل بداية طفوية لكفاح جديد قام على "قاعدة قلب الطاوله" وإنما استكمالاً لتراكم تاريخي طويل من النضالات الأليمة في سبيل استرجاع الاستقلال. ويكفي دلالةً على ذلك كون فكرة الكفاح المسلح فكرة قديمة قدم الاستعمار، إذ شكّلت منذ الساعات الأولى للاحتلال (1830) جزءاً من الضمير الجمعي الوطني؛ وهو ما تؤكدته الثورات التي حفل بها القرن 19 وامتدت إلى غاية مطلع القرن الـ 20 (Chikh, 1981 : 25). وصحيح أن تلك الفكرة، وبعد الفشل الذي منيت به هذه المقاومات لاعتبارات موضوعية، انسحبت مكرهة من مستوى الفعل لكنها بقيت حاضرة وبقوة على مستوى التصور والاستعداد. بل المفارقة أن الاستعمار نفسه "سهر على رعايتها بواسطة العالم المضيق والمزروع بأنواع الظلم والمنع الذي أقامه". وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، وجدت هذه الفكرة السياق الملائم للعودة ككرة أخرى إلى الواقع القائم هنا والآن، وقد تضافرت عدة تطورات على بلورة هذا السياق:

فمن نحو: تمخضت التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شاهدها البلاد بالأخص أثناء الحرب العالمية الثانية عن ميلاد القاعدة الاجتماعية الضرورية لبدء مرحلة نضال متميز. وهنا يكفي أن نشير إلى النمو

الديموغرافي السريع للجزائريين الذي ما برح يخل أكثر فأكثر بالموازين الديموغرافية بينهم وبين الكولون؛ بحيث قفزت النسبة بين الطرفين من 644 مسلم لكل 100 أوروبي عام 1936 إلى 832 مسلم لكل 100 أوروبي عام 1948 (Kaddache, 1980 :737). وزاد هذه الموجة الديموغرافية خطورة، اتجاؤها نحو تشييب الكتلة المسلمة؛ إذ أضحي كل 100 شاب أوروبي يقابله 1200 شاب جزائري (Ibid : 740). هذا، وكانت الظاهرة المعنية أكثر تجليا في الريف، أين يتركز أزيد من 80٪ من المسلمين مقابل 20٪ من الأوربيين (13 : 102, Harbi, 1993 : Rouissi, 1983)، إذ مضى الفارق بين الكتلتين يتسع من سنة لأخرى¹، ليقفز من 1886 مسلم ريفي مقابل 100 أوروبي ريفي سنة 1931 إلى 2859 مسلم ريفي مقابل 100 أوروبي ريفي عام 1948 (GGA, 1948-1949: 29) ... وهو ما كان يُسرّع انحسار سيطرة فرنسا عن هذا الفضاء الواسع، ليتحول شيئا فشيئا إلى محضن كبير لقوى تستعصي عن الضبط والمراقبة.

بل أكثر من ذلك، مضى هذا الريف الذي باتت تخيم عليه البطالة والمجاعة، يقذف بالعديد من سكانه إلى المدينة بحثا عن العمل ولقمة العيش، ليسهم بذلك في قلب موازين الديموغرافيا الحضرية أيضا، إذ بعد أن كانت لصالح المعمرين حتى ثلاثينات القرن 20، أخذت تتحول لصالح الأهالي وبوتيرة متسارعة، حيث تضاعف عدد المسلمين الحضريين بين 1931 و 1948 من 606.440 نسمة إلى 1129.482 نسمة (GGA, 1948-1949: 25). ما أدى إلى عملية "ترييف" واسعة للمراكز الحضرية، وعزز ذلك جحافل المتعطلين عن العمل وأصحاب النشاطات غير القارة من ماسحي أحذية وحمالين... ومن ثم راحت تبرز في المدينة قوى مجتمعية جديدة قادرة على الاضطلاع بتحقيق المشروع الثوري، إلى جانب بدء عودة حاسمة إلى المسرح السياسي لقوى الريف التقليدية التي أخذت تتلاقح مع الوطنية الثورية.

1- والمؤكد أن حوادث ماي 1945 ساهمت في تسريع وتيرته لاسيما في مقاطعة قسنطينة ومنطقة القبائل (13 : Harbi, 1993).

ومن نحو آخر: تميزت سنوات الحرب العالمية الثانية في الجزائر بـ "تناقض انفجاري بين الآمال المتصاعدة في حل سلمي للمشكلة الاستعمارية والخيبة الملزمة لها" (Cheikh, 1981 : 78-79)، ما جعل المجتمع الجزائري يتجاوز درجة التحمل، فنفى لديه تطلع عارم إلى بدء كفاح لا هوادة فيه. فقد عرفت الفترة المذكورة تطورات استثنائية: من هزيمة فرنسا (جوان 1940)، وإنزال الحلفاء (نوفمبر 1942)، وصدر بيان الشعب الجزائري (فيفري 1943)، وقيام حركة أحباب البيان والحرية (مارس 1944)، الخ... وهو ما حطم في نفوس الجزائريين عقد الانبهار ومركبات النقص وما يتبعها من يأس واستسلام، وبعث فيها آمالا متزايدة في التخلص من الاستعمار ونيل الاستقلال... وقد سجلت المصادر المعاصرة العديد من المظاهر السلوكية لهذا التحول النفسي؛ فأشارت إلى تصرفات جديدة لوحظت لدى "الأهالي" كعدم تقبل الإهانات، ورفض العمل لدى "الكولون"، ومخاطبتهم الند للند... (قنان، 1994: 199-200). لكن خيبة تلك الآمال في وسط الدم والدموع في ماي 1945 أكدت بشكل قاطع أن محو الاستعمار لا يمكن أن يكون ثمرة تفاهم ودي، لأن منطق (إما هم وإما نحن) الاستعماري كان يقيم ضرورة لحرب إبادة أحد الطرفين: إما محو الكيان الوطني أو إزالة الاستعمار. وهذا التحدي لم يترك للجزائريين حرية اختيار وسيلة الرد، إذ العنف الاستعماري لا يفله إلا العنف الثوري، فكان التسريع الثوري الذي تجسد في الشروع في الإعداد للكفاح المسلح ابتداء من 1947.

ومن نحو ثالث: تزامن كل ما سبق مع تشكل واقع دولي جديد بعد الحرب العالمية الثانية جعل من الثورة على الاستعمار ظاهرة كوكبية في العالم بأسره وحولها إلى عدوى صحية راحت تتداعى في شكل أفعال وردود أفعال حتى أضحت روح العصر السارية والسائدة، ما أدى إلى بعثرة جهود الاستعمار وإضعافه. هذا علاوة على تضائل وزن القوى الاستعمارية (التقليدية) التي خرجت من الحرب منهكة، بينما تميز موقف القوى الكبرى الجديدة (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي) بمعارضة الاستعمار على الأقل من حيث المبدأ. وهكذا لم تعد المستعمرات تعيش في سوق احتكارية تحت رحمة الاستعمار المطلقة كما كان الحال في السابق،

وإنما في سوق حرة تعطيها حرية الحركة والمناورة لانتزاع استقلالها (Ait Ahmed, 1981 : 15-49).

هذا السياق المشجع على تبني حل ثوري للمشكلة الاستعمارية ربما دفع إلى الاعتقاد بأن ولادة المنظمة الخاصة جرت بشكل طبيعي، غير أن الذي حدث هو العكس تماماً. إذ عادت القوى الوطنية بما فيها حزب الشعب بعد الحرب العالمية الثانية إلى النضال بالأساليب القديمة معتقدة أن بالإمكان الاستفادة من السياسة الفرنسية الجديدة المتسمة بنوع من المرونة... بيد أن الجيل الجديد من مناضلي حزب الشعب الذين اكتمل وعيهم السياسي في مناخ ماي 1945 لم يكن ليهضم هذا "المنعرج الإصلاحي". الأمر الذي أحدث رجة داخل الحزب كادت تعصف بتماسكه. ولتجاوزها اضطرت قيادته إلى عقد مؤتمر فيفري 1947 الذي خرج بحل وسط أرضي الجميع؛ حيث كرس حركة انتصار الحريات الديمقراطية MTLK كواجهة للنضال الشرعي، وأسس المنظمة الخاصة OS لتضطلع بالتحضير للكفاح المسلح (Ait Ahmed, 1993 : 82-83, Harbi, 1990).

على ضوء ما سبق، يتضح بأن قرار تأسيس "المنظمة الخاصة" لم يأت تجاوباً مع رؤية إستراتيجية واضحة ترمي إلى تفجير الثورة، وإنما مراعاة لميزان قوى ظرفي بين أجنحة الحزب قصد تجاوز أزمة داخلية ظنّ الكثيرون أنها عابرة. وهو ما يدفع إلى التساؤل أليس هذا من قبيل الحلول المؤقتة التي لا تحل المشكلة وإنما تجعلها أسوأ على المدى البعيد؟ للأسف، الإجابة على هذا السؤال لم تظهر إلا بعد اكتمال "حلقة التغذية الراجعة" Feedback وعندها كان تغيير النتيجة قد فات أوانه. لكن في الانتظار، نجحت المنظمة الخاصة في تحقيق العديد من الانجازات.

ثانياً: المنظمة الخاصة وبناء القدرة الثورية

لعل أهم نجاح حققته المنظمة الخاصة هو إدخال مشروع الثورة في باب الاحتمالات الممكنة التحقيق، وهذا من خلال إرساء الركائز الفنية الأربع الضرورية لذلك:

أ - **المخطط الثوري المناسب:** بلورت قيادة المنظمة مخططا ثوريا فريدا من نوعه في تاريخ المقاومة الجزائرية. وهو ثمرة دراسة مستوعبة للتجارب الوطنية السابقة والتجارب العالمية المختلفة، مع إطلاع واسع على أفضل ما توصل إليه الفكر العسكري والاستراتيجي الحديث. إذ قامت بحصر الخيارات الإستراتيجية الرئيسية المتاحة أمامها، و هي أربعة: انتفاضة شعبية، إرهاب معمم، تشكيل منطقة محررة، حرب الأنصار (-15: 1981 Ait Ahmed 49). و بعد دراستها، جرى استبعاد كل من:

➤ **خيار الانتفاضة الشعبية** لأنه يستند إلى "مبدأ تفوق الحشد"² الذي تجاوزه الزمن بفعل التطور الكبير الذي عرفه التسليح الحديث، وكذلك لأن فرنسا لن تتردد في استخدام كل الوسائل التي بحوزتها من أجل الاحتفاظ بالجزائر التي تشكل حجر الزاوية في الإمبريالية الفرنسية، ما يجعل هكذا خيار انتحارا محضاً كما تؤكدته التجارب الأليمة التي عرفتها البلاد سنتي 1871 و1945.

➤ **خيار الإرهاب المعمم:** لأنه غير فعال، إذ لا يواجه أصل المشكلة، وهو النظام الاستعماري وإنما يصار عفروعه وبيادقه المتمثلة في الأفراد.

➤ **خيار تشكيل منطقة محررة:** لأنه يتطلب، بالإضافة إلى الدفاعات الطبيعية الحصينة، جيشاً مزوداً بحد أدنى من الطاقة النارية وحدود مشتركة مع دولة صديقة مستعدة للمخاطرة عسكرياً ودبلوماسياً لضمان دعم لوجيستي وهذا لم يكن متوفراً بالنسبة للمنظمة الخاصة.

ولم يبق أمام قيادة المنظمة الخاصة إلا خياراً وحيداً، هو حرب الأنصار الذي تبنته، ويقوم هذا المخطط على إستراتيجية "التقرب غير المباشر" التي تسمح بوضع الصراع مع الاستعمار في إطار يفضي إلى عزل التفوق المادي

والتكنولوجي الساحق الذي يتمتع به (الاستعمار) وإحلال قوة الإنسان الثائر وتفوقه المعنوي محله. وذلك بالاعتماد على عدد من المبادئ أبرزها:

***الحرب الشعبية:** حيث يكون "الشعب بالنسبة لحرب الأنصار كالماء بالنسبة للسّمك"

***حرب العصابات:** هي طريقة في القتال تتفادى "أخذ الثور من قرنيه"، أي الدخول في مجابهة مباشرة مع العدو نظرا لتفوقه في العدد والعتاد تفوقا ساحقا. وفي المقابل، جعل مسعى العدو للقضاء على الثوار أشبه بمحاولة "صيد الذباب ببندقية"، وهذا يجبر العدو على بذل جهد أكبر بكثير من أن يستطيع تحمله إلى ما لا نهاية.

***الدفاع الإستراتيجي:** لما يسمح به من انتظار مفيد، واستثمار لأخطاء العدو، وموافقة بين الأحداث.

***معرفة الأرض:** إذ أن الأرض، كما هي القاعدة دائما، تحارب مع أبناءها؛ لأنهم أكثر معرفة بها من عدوهم.

ب- **الإطار البشري الكفاء:** انتقلت المنظمة الخاصة ما بين 1500 و2000 عنصرا من خيرة مناضلي حزب الشعب (شهادة محساس، (Benkhedda, 1989, Boudiaf, 1974)، وذلك:

- **وفق شروط صارمة:** كالتجربة النضالية، والإيمان بالعمل المسلح، والذكاء، والشجاعة الكاملة، والكتمان، وقوة البنية (Ait Ahmed, 1990: 135).

- **وعبر خطوات دقيقة** (شهادات قيراس، بن سعيد، العمودي، قعاص، تيتوح، مرزوقي، مراكشي): 1- **البحث والتحري** في حياة المناضل وسلوكه، 2- **المقابلة:** حيث يضرب للمرشح للتجنيد موعدا للقاء شخص مجهول يقوم بإطلاعه على أهداف المنظمة وواجبات المنخرطين فيها ثم يعرض عليه الانضمام إليها. 3- **الاختبار:** في حالة الموافقة، يخضع بعد مدة لاختبار موقفي، كأن يعطى سلاحا ويطلب منه تنفيذ عملية خطيرة وفي اللحظات

الأخيرة يؤمر بالتوقف-4- القسم: يستدعى ليلا إلى مكان سري لأداء القسم أمام أشخاص مقنعين،5- الانتداب: أخيرا، يتم نقله من التنظيم السياسي إلى التنظيم الخاص مع تمويه العملية -غالبا- في شكل إجراء تأديبي.

- إخضاعهم بعد ذلك لتدريب مركز على فنون الحرب الثورية³، إلى جانب تكوين سياسي ومعنوي متميز ، بحيث يشكلون طليعة مؤهلة لتأطير السيرة الثورية.

ج- الحد الأدنى اللازم من الإمكانيات المادية(السلح): تمكنت المنظمة رغم الصعوبات الجمة التي واجهتها من إنشاء مخازن صغيرة للأسلحة الخفيفة والذخيرة في مختلف مناطق الوطن (الأوراس، سمنو، القبائل، الجزائر، وهران، الأغواط، الخ...). وذلك بفضل عمليات جلب السلاح التي نظمتها، نذكر منها عمليتين تمتا في منطقة الجنوب الشرقي (واد سوف) وتوجتا بالحصول على كميات معتبرة من السلاح الذي خلفته معارك الحرب العالمية الثانية التي دارت رحاها في الصحراء الليبية؛ جرت العملية الأولى في عام 1947 وسمحت بجلب 33 قطعة حربية، و الثانية في عام 1948 ووفرت للمنظمة أزيد من 100 قطعة (Assami, 1994: 17, (Benkhedda, 1989: 132-133, Ait Ahmed, 1990: 164-165

هذا علاوة على جمع المتفجرات بالأخص في المناطق التي تكثر فيها المناجم، كالونشريس والقل والونزة... (Harbi, 1993 : 43, Ait Ahmed, 1990 : 166) وإعطاء دفع قوي للتسلح الفردي، واستكشاف المسالك الحدودية شرقا وغربا وإقامة علاقات طيبة مع الثوريين في البلدان المجاورة استعدادا لإنشاء شبكات الإمداد والتموين في حالة انطلاق الكفاح المسلح... (شهادات يوسفى وبن سعيد، Assami, 1994, Harbi, 1993: 55)

3- وضعت قيادة المنظمة كتيب للتدريب العسكري يتضمن 12 درسا في تقنيات وطرق الحرب الثورية، إلى جانب كتب آخر موسوم بـ "سلوك المناضل تجاه الشرطة"، وذلك في مختلف مراحل العملية البوليسية: التتبع والاستعلام والتوقيف والاستنطاق... (Ait Ahmed, 1990, 134-135)

ولا تفوتنا الإشارة -هنا- إلى مساعي المنظمة لإقامة نواة صناعة حربية تجسدت في إنشاء مصالح متخصصة، كمصلحة الهندسة المكلفة بصنع المتفجرات بمختلف أنواعها (الهجومية، المحرقة، التفجيرية) مع تدريب المناضلين على تقنيات التخريب واستخدام المتفجرات... إلى جانب مصلحة الإشارة التي ضمت مختصين في الراديو والكهرباء وعناصر أدت الخدمة العسكرية في سلاح الإشارة، وهي تتولى جلب أجهزة الاتصال كمحطات الإرسال والاستقبال وصيانتها مع محاولات تصنيعها وكذا تدريب المناضلين على استخدامها وترميز الرسائل وفك رموزها (Assellah, 1982, 74 : Chevallier, S.D. : 87, Harbi, 1993).

د-كفاءة المزج بين العوامل السابقة: وتتجلى في الرصيد المعتبر الذي خلفته "المنظمة الخاصة" من طرق تنظيم، وتقنيات اتصال، وأنظمة عمل، وقواعد انضباط، وتعليمات متنوعة... والتي تعد بمثابة "العدسة اللامعة" الضرورية لتجميع العناصر الثلاثة السابقة وتركيزها لجعلها قادرة على الفعل .

وبشكل عام راحت المنظمة الخاصة منذ تأسيسها تنمو بسرعة أكبر فأكبر إذ كان كل تطور يعود ويوسع نطاق التطور الأصلي أشبه بآلة أوتوماتيكية تستخدم مخرجاتها لتنظيم مدخلاتها. حتى أضحت الاعتقاد بعد اجتماع زدين (ديسمبر 1948-جانفي 1949) أن موعد الانفجار التاريخي ليس سوى مسألة شهور، لكن فجأة أخذ هذا المد الثوري يتهاوى نحو الحضيض، وانطلقت الأزمات تترى في دورة مشؤومة، لتكتمل حلقتها بـ"حادثة رحيم" التي يعتقد الكثيرون بأنها "حبة الرمل" التي عطلت محرك "المنظمة الخاصة" أي سبب اكتشافها وتفكيكها وأخيرا حلها.

ثالثاً: الاكتشاف والمآل:

تذهب الرواية الشائعة (محساس، : 333، محمد عباس، 1991: 86، Youfi, 1985 : 104, Benkhedda, 1989 : 152, Harbi, 1993 : 76) إلى أن المدعو "رحيم" واسمه الحقيقي عبد القادر خياري كان عضواً في "المنظمة الخاصة" بتبسة، وأراد الانسحاب منها، ولما كان القانون الداخلي

لهذه الأخيرة يمنع ذلك بشكل قاطع، صدر قرار بمعاقبته. وتنفيذا لذلك، قديم "فوج كومندوس"⁴ تابع للمنظمة من مدينة عنابة وقام بتأديبه. ما جعل المعني يهرع إلى أقرب مركز للشرطة الاستعمارية ويكشف أمر المنظمة.

بيد أن هذا التفسير التقليدي لاكتشاف المنظمة الخاصة والمختزل في حادثة "رحيم" لا يصمد أمام النقد، وذلك أكان على مستوى الواقعة ذاتها أو على مستوى سياقها:

فعلى مستوى الواقعة، يكشف النقد العلمي للشهادات المتعلقة بالحادثة أن الكثير من معطياتها مجرد استنتاجات متسعة وفروض غير محققة؛ فانتفاء رحيم إلى "المنظمة الخاصة" غير ثابت، ومعلوماته بخصوصها محدودة جدا لا تتجاوز في أحسن الأحوال حدود تبسة، كما أنه لم يتعرف على هوية الذين اعتدوا عليه باتفاق الشهادات المتوفرة ما ينفي علمه بانتمائهم إلى "المنظمة الخاصة"... بل إن هذه الرواية حتى ولو قبلناها على علاقتها، لا تستطيع تفسر ما جرى؛ فحجم وسرعة وشدة عملية التفكير توحى بأن مصادر المعلومات التي اعتمدت عليها مصالح الأمن أهم بكثير من "رحيم" ورفاقه... ومما يعزز هذا، وجود حوادث أخطر سبقت حادثة رحيم وتسببت في توقيف إدارات أعلى رتبة وأكثر اطلاعا، ولم تفضي إلى تفكيك "المخ"؛ فقد أعتقل في القطاع الوهراني: بوتليليس (مسؤول مقاطعة) وميسوم بحري (قائد ناحية) والحاج بن علا (مسؤول مدينة)... إثر عملية بريد وهران، وأوقف مسؤولو "المنظمة الخاصة" في منطقة القبائل: عمار ولد حمودة، وعمر بوداود... أثناء ما عُرف بـ "الأزمة البربرية"، ولم يترتب عن ذلك اكتشاف المنظمة. فكيف إذن- لتوقيف مسؤولين محليين في مقاطعة قسنطينة وفي حادثة أقل خطورة، ينجم عنها تفكيكها على المستوى الوطني (سعداوي، 2009: 274-285)؟

أما على مستوى السياق، فهناك العديد من المعطيات التي تدفع إلى الافتراض بأن حادثة رحيم مجرد ذريعة اتخذتها مصالح الأمن للانتقال إلى المرحلة الثانية في العملية البوليسية وهي مرحلة التفكير وذلك بعد الفراغ من

4- كان الفوج بقيادة ديدوش مراد، وعضوية حسين بن زعيم وعمار بن عودة وعبد الباقي بكوش مسؤول و ابراهيم عجمي.

المرحلة الأولى؛ مرحلة الاستعلام التي نجحت خلالها في إمطة اللثام عن "المنظمة الخاصة" وتجميع الكثير من المعلومات حولها، كما تشي بذلك العديد من الوقائع السابقة عن مارس 1950 (سعداوي، 2009: 285-291):

✓ فقد رصدت العديد من نشاطاتها من تدريب وتهريب وسطو وعمليات متنوعة...

✓ وعثرت على عدة آثار مادية تدل عليها من أسلحة ومتفجرات وكتيبات عسكرية ووثائق أخرى...

✓ واكتشفت عدة خلايا مرتبطة بها وفي أماكن متعددة...

✓ وأوقفت عدد معتبر من إطاراتها: حمو بوتليليس، ميسوم بحري، الحاج بن علا، محمد علي خيضر، عمار ولد حمودة، عمر بوداود...

✓ وتعرفت على أهم قاداتها: أيت أحمد، بن بلة... وأصدرت أوامر بتوقيفهم.

✓ زيادة على أن هذه الوقائع شملت مختلف جهات الوطن: القل، الحروش، عزابة، بجاية، الجزائر، وهران، معسكر، مستغانم، الوادي... الخ.

هذا يفرض علينا البحث عن بديل للرواية الشائعة أي عن السبب الحقيقي للاكتشاف. وهنا لابد أن نوضح بان السبب، خلافا للاعتقاد السائد، لا يكون - في الغالب - واقعة منفردة وإنما علاقة بين مختلف العوامل المؤثرة. وللوقوف عليه لا مناص من مقارنة تركيبية للمعطيات المتاحة. وهو ما حاولنا القيام به، فخلصنا إلى أن المعطى الاستراتيجي الذي حدد مصير المنظمة هو تركها في حالة "إسبات تنظيمي" **Hibernation Organisationnelle** بعد فراغها من مهمتها الإعدادية؛ الشيء الذي ترتبت عنه عدة آثار قاتلة. أبرزها (سعداوي، 2009: 296-302):

❖ - دفع قادة المنظمة إلى ارتكاب أخطاء خطيرة كتحريفها عن مهمتها الأساسية إما تنفيذا عن الطاقات المكبوتة أو محاولة لحل المشكلات المفتعلة كمشكلة التمويل (تصفيات المليشيات السوداء بمنطقة القبائل مطلع 1948، عملية بريد وهران أفريل 1949، محاولة تفجير "تمثال كاشيرو" بمعسكر أواخر 1949...)

❖ - انتشار الضجر والإحباط وسط مناضلي المنظمة مما تسبب في العديد من حالات الإخلال بالنظام الداخلي، وبالتالي من حملات تأديبية.

❖ - إعطاء الوقت الكافي لمصالح الأمن لتتقفي آثار المنظمة واختراقها وأخيرا تفكيكها.

ومرد هذا إلى أن الدافع الأساسي لتأسيس "المنظمة الخاصة"، كان تسكين الوضع الداخلي غداة المنعرج الانتخابي (نوفمبر 1946) وليس تفجير الثورة. لذا لعبت المخ طوال مرحلة الإعداد دور عامل التهدة لكن بمجرد بلوغها مرحلة الجاهزية للعمل تحولت إلى سبب يؤجج الصراع بين أنصار الشروع الفوري في العمل المباشر وأنصار التريث. أي أنها أعادت إنتاج المشكلة ذاتها التي تأسست كحل لها لكن بحدة أشد. ولتجاوزها بشكل جذري كان على الحزب التجاوب مع متطلبات المحيط الاستراتيجي باتخاذ قرار ثوري حاسم (أي تفجير الثورة)، غير أنه لم يستطع القيام بذلك، فكانت المنظمة الخاصة هي كبش الفداء.

هذا التحليل يضعنا إزاء سؤال هام مفاده: هل كانت عملية التفكيك ضربة قاصمة للمشروع الثوري؟

لا يختلف اثنان في أن عملية تقطيع أوصال المنظمة الخاصة رافقتها الكثير من صنوف الألم والمعاناة؛ من قمع، وسجن، وتعذيب، ومطاردة، وتشرد، وقلق، وصراع، الخ... غير أن ذلك كله لم يكن سوى مظاهر صاخبة، أما في الباطن، فقد كانت تعبيراً عن أزمة نمو لم يكن منها بدّ لتحرير طاقات المنظمة الخاصة المكبوتة؛ حيث إذا ترفعنا عن النظرة الوقائعية

المغركة في الجزئيات، ندرك أن تلك عملية حملت العديد من الايجابيات للتيار الثوري:

فمن جهة أفقدت النضال الشرعي في إطار حزب الشعب أهميته التي كان يستمدّها من كونه غطاء وستر للعمل الرئيسي المتمثل في الإعداد للثورة المسلحة، كما حرمت أجنحة الحزب من خصم مشترك كان يمدّها بأسباب التماسك، ويرفّد جهاز الحزب ككل بدواعي الثبات. فكانت النتيجة الحتمية تسريع عملية تفكك الحزب بانبعاث الصراعات الكامنة في أعماقه (أزمة 1953-1954)، ومن ثمّ إطلاق مبادرات القاعدة.

ومن جهة أخرى حررت القوى الثورية من قبضة الشرعية ووفرت لها الشرائط والظروف التي تسمح لها بالانتقال من الانفعال إلى الفعل، ومن انتظار صدور قرار الثورة إلى السعي إلى صنعه. فكانت الأزمة - على العموم- مظهرا لتدفق طاقي عبر نظام بلغ درجة الحجم الحرج ما أدى إلى دفعه نحو نظام جديد.

أما العقبات الكثيرة التي واجهت إطارات "المنظمة الخاصة" بين 1950 و 1954 ودفعتها إلى الانكفاء، لم تكن - في واقع الحال - سوى عوامل ساعدتها على استكمال شروط تفجير الثورة: إذ أنضجتها نفسيا واجتماعيا، ومدت الجسور بينها وبين الجماهير الناقمة على الوضع القائم سيما في الريف، كما دفعتها إلى الانفتاح على المحيط الدولي والإقليمي والاستفادة من تطوراتها، وأخيرا جعلتها في موقع يتيح لها اتخاذ القرار المناسب (اجتماع 22 إطار في المنظمة الخاصة جوان 1954). وبذلك أزفت ساعة الصفر، ساعة انطلاق الثورة المنتظرة منذ أمد بعيد.

خاتمة

تكشف هذه الدراسة أن المنظمة الخاصة لم تكن مجرد تنظيم سري سبق ثورة أول نوفمبر 1954، وإنما مثلت المرحلة التي انتقل خلالها المشروع الثوري الجزائري من مستوى الفكرة إلى مستوى الإعداد المنهجي. فقد أفضى تحليل ظروف نشأتها إلى أن تأسيسها جاء في سياق تفاعل معقد بين التحولات الاجتماعية والديموغرافية التي عرفها المجتمع الجزائري، وانهيار الرهان على الحلول الإصلاحية عقب مجازر ماي 1945، والتغيرات التي

مست البيئة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، فضلاً عن التوازنات الداخلية التي عرفها حزب الشعب الجزائري. ومن ثم، فإن المنظمة الخاصة لم تكن نتاج عامل منفرد، وإنما ثمرة تفاعل مجموعة من المتغيرات الداخلية والخارجية التي جعلت خيار الإعداد للكفاح المسلح أكثر واقعية من أي وقت مضى.

كما بينت الدراسة أن القيمة التاريخية للمنظمة الخاصة لا تقاس بما أنجزته من عمليات محدودة، وإنما بما أسسته من مقومات دائمة للمشروع الثوري. فقد وضعت تصوراً استراتيجياً لطبيعة الحرب المرتقبة، وشكلت نواة بشرية مؤهلة، وأنشأت شبكات أولية للتسليح والاتصال، ورسخت قواعد تنظيمية ستشكل، في ما بعد، أحد الأسس التي اعتمدت عليها الثورة الجزائرية عند اندلاعها في أول نوفمبر 1954. وبهذا المعنى، فإن الإرث الأهم للمنظمة الخاصة لم يكن مادياً بقدر ما كان تنظيمياً وخبرة ورؤية استراتيجية.

وفيما يتعلق باكتشاف المنظمة وتفكيكها، خلصت الدراسة إلى أن الرواية التقليدية، التي تربط ذلك بحادثة «رحيم»، لا تكفي وحدها لتفسير اتساع العملية الأمنية وتعقيدها. وتظهر القراءة النقدية للوقائع أن عملية التفكيك جاءت بعد فترة من الرصد والمتابعة الأمنية، وأن حادثة رحيم قد تكون أسهمت في تسريع تنفيذ الحملة، لكنها لا تفسر، بمفردها، انهيار تنظيم امتدت شبكاته إلى معظم جهات البلاد. ولذلك اقترحت الدراسة تفسيراً بديلاً يقوم على مفهوم "الإسبات التنظيمي"، الذي يشير إلى حالة يبلغ فيها التنظيم درجة متقدمة من الجاهزية دون أن يُتخذ القرار السياسي الذي يسمح له بالانتقال إلى الفعل، وهو ما يؤدي تدريجياً إلى توليد اختلالات داخلية وتوفير فرص متزايدة لاختراقه أمنياً.

وبناءً على ذلك، تدعو الدراسة إلى إعادة النظر في تاريخ المنظمة الخاصة باعتباره جزءاً من تاريخ تشكل الثورة الجزائرية، لا مجرد مرحلة انتهت بتفكيك تنظيم سري. فالأثر التاريخي للتنظيم لا يقاس بمدة بقائه، وإنما بقدرته على إحداث تحول نوعي في مسار الحركة الوطنية. ومن هذه الزاوية، يمكن النظر إلى المنظمة الخاصة بوصفها المختبر الذي تبلورت فيه المبادئ التنظيمية والاستراتيجية والبشرية التي مهدت لقيام ثورة أول نوفمبر 1954،

حتى وإن لم تتح لها الظروف إنجاز المهمة التي أنشئت من أجلها بصورة مباشرة.

وأخيراً، تفتح هذه النتائج آفاقاً لبحوث لاحقة تتجاوز الإطار التقليدي لدراسة المنظمة الخاصة، وذلك من خلال تحليلها في ضوء نظريات التنظيمات السرية، وديناميات اتخاذ القرار الثوري، وآليات الانتقال من الإعداد إلى الفعل في حركات التحرر الوطني. ومن شأن هذا التوجه أن يسهم في إدماج التجربة الجزائرية ضمن النقاشات المقارنة حول تاريخ الثورات والتنظيمات التحررية في القرن العشرين.

المصادر والمراجع:

- الوثائق:

- Ait Ahmed (Hocine), **rapport présenté au comité central élargi réuni à Zedine** (Décembre 1948), in Harbi, Mohammed. (1981). Les archives de la révolution Algérienne. Paris: Jeune Afrique. P.P: 15 – 49.
- Gouvernement général de l'Algérie, 1948 et 1949, **Exposé de la situation générale en Algérie (Annuel)**.
- Organisation spéciale du PPA – MTLD, **Règlement intérieur**, in Chevalier, Jacques, (S. d.). **Nous algériens ...** Paris: Calmavey. P.P: 90 – 93.
- Organisation spéciale du MTLD, **Brochure incomplète intitulée : " L'attitude du militant devant la police"**.
- Tribunal Correctionnel de Bône (Annaba), **Procès de l'Organisation Spéciale (MTLD)**, 30 juin 1951, 57 P ronéotées.

- الشهادات

- شهادة بن سعيد عبد الرحمن، مسؤول المنظمة الخاصة في القطاع الوهراني.
- شهادة بن علا الحاج، مسؤول المنظمة الخاصة في مدينة وهران.
- شهادة تيتوح مخلوف، مسؤول فرع المنظمة الخاصة بتازمالت.
- شهادة العمودي عبد القادر، مسؤول المنظمة الخاصة بمنطقة الجنوب القسنطيني.
- شهادة قعاص عياد، مسؤول خلية في المنظمة الخاصة بواد الزناتي.
- شهادة قيراس عبد الرحمن، مسؤول المنظمة الخاصة في منطقة وسط القطاع القسنطيني.

- شهادة محساس أحمد، مسؤول مقاطعة الجزائر الكبرى في المنظمة الخاصة.
- عباس، محمد. (1991). **ثوار عظماء (شهادات منشورة)**. الجزائر: منشورات دحلب.
- عباس، محمد. (1992). **رواد الوطنية (شهادات منشورة)**. الجزائر: منشورات دحلب.

- المذكرات الشخصية:

- Ait Ahmed, Hocine. (1990). **Mémoires d'un combattant. L'esprit de l'indépendance, 1942–1952**. Alger: Ed Bouchene.
- Benkhedda, Benyoucef. (1989). **Les origines du 1^{er} novembre 1954**. Alger: Ed. Dahleb.
- Boudiaf, Mohamed. (1976). **La préparation du 1^{er} Novembre**, Collection El-djarida.
- Chevalier, Jacques, (S. d.). **Nous algériens ...** Paris: Calmalevy.
- Mahsas, Ahmed. (1990). **Le mouvement révolutionnaire en Algérie de la première guerre mondiale à 1954 : Essai sur la formation du mouvement national**. Alger: Ed Barkat.
- Assami, Mohamed. (1994). L'armurier de l'OS, M. Mohamed Assami raconte l'histoire, version originale, in **L'indépendant** N° 1 du 31 Octobre au 6 Novembre, 1994, P8 et 17 – 18.
- Yousfi, M'hammed. (1985). **L'Algérie en marche**. 2 Vol. Alger: ENAL.

- الدراسات:

- قنان جمال. (1994). **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**. الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
- سعداوي مصطفى. (2009). **المنظمة الخاصة ودورها في الإعداد لثورة نوفمبر 1954**, الجزائر: منشورات الورقة الزرقاء.
- Chikh Slimane. (1981). **L'Algérie en armes ou le temps des certitudes**. Alger – Paris: OPU / Economica.
- Harbi, Mohammed. (1993). **Le FLN mirage et réalités, des origines à la prise du pouvoir (1945 – 1962)**. Alger: ENAL-NAQD.
- Kaddache, Mahfoud. (1980-1981). **Histoire du nationalisme Algérien. Question nationale et politique Algérienne, 1919 – 1951**. 2 Vol. Alger: SNED.

- Rouici, Moncer. (1983). **Population et société au Maghreb**. Alger: OPU.